مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: الإمبراطور ليوبولد الأول (1640 – 1705) وسياسته الداخلية والخارجية
اسم الكاتب: د. وضاح نوفل
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2745
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 09:11 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
147 (1)- 2023: 57-40

Damascus University Journal of Historical Studies
147 (1) - 2023 : 57-40

الإمبراطور ليوبولد الأول (1640–1705)
وسياسته الداخلية والخارجية

د. وضاح نوفل[1]

[1] أستاذ مساعد – قسم التاريخ– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق.

الملخص

تربص بالإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" أعداء من الشرق وأعداء من الغرب طيلة فترة حكم الإمبراطور (القيصر) ليوبولد الأول، فكتب عليه أن يقضي حياته محاطاً بالحروب، ففي الغرب كانت حروبه مع قريبه ملك فرنسا لويس الرابع عشر، وفي الشرق حروبه مع الدولة العثمانية، إلا أنه استطاع بحنكته السياسية أن ينسج تحالفات عسكرية واستراتيجية مع أمراء إمبراطوريته و البابوية و ملك بولندا أدت إلى هزيمة العثمانيين أمام أسوار فيينا في العام 1683 ، ودافع بشراسه عن مصالحه في الإمبراطورية وفي اسبانيا ضد خصمه اللدود لويس الرابع عشر، وأبرم عدد من التحالفات الاستراتيجية لهذه الغاية. بالإضافة إلى ذلك أدار الأوضاع الداخلية في إمبراطوريته ببراغماتية ومهارة، فأعطى ملك براندنبورغ الاستقلال في العام 1700 واعترف به لتظهر إلى النور مملكة بروسيا التي ستؤدي دوراً بارزا في تاريخ أوروبا. بالرغم من كل الأخطار الخارجية و المشاكل الداخلية، استطاع الإمبراطور (القيصر) ليوبولد الأول أن يبدع في مجال الموسيقا والتلحين واهتم بالثقافة أفضل اهتمام وأسس عدداً من الجامعات وقدم لشعب إمبراطوريته عدداً كبيراً من الانجازات، وهذا كان سبباً كافياً ليحبه شعبه ويخلده.

الكلمات المفتاحية: الإمبراطور (القيصر) ليوبولد الأول، الملك لويس الرابع عشر، السلطان محمد الرابع، الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية".

تاريخ الايداع: 2020/10/2
تاريخ القبول :2020/10/14

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

Emperor Leopold I (1640-1705) His Internal and External Policy

Dr. Wadah Noufal[2]

[2]Assistant Professor-Department of History- Damascus University.

Abstract

Enemies from the East and West had Lurked in the Holy Roman Empire of "the German Nation" for a long time throughout the reign of the Emperor (Caesar) Leopold I. As a result, his life was fated to be surrounded by wars; in the West, his wars were with his relative the King of France, Louis XIV, and in the east his wars with the Ottoman Empire. However, using his Political cleverness, he was able to weave military and strategic alliances with: the princes of his Empire, and the Papacy, and the king of Poland which led to the defeat of the Ottomans before the walls of Vienna in 1683. The Emperor had fiercely defended his interests in the Empire and in Spain against his archenemy Louis XIV, and conducted a number of strategic alliances to this aim. On the other hand, he skillfully and pragmatically managed the internal affairs of his empire. He granted the King of Brandenburg the independence in 1700 and acknowledged him to bring to light the Kingdom of Prussia, which was planned to play a prominent role in the history of Europe. Despite all the external dangers and internal problems, Emperor (Caesar) Leopold I excelled in the field of music and composition, along with giving culture the best attention. Moreover, he established many universities presenting to the people of his empire a large number of achievements, which was enough reason for his people to love and immortalize him.

Keywords: Emperor (Caesar) Leopold I, King Louis XIV, Sultan Mohammed IV, The Holy Roman Empire of "The German Nation".

Received: 2020/10/2

Accepted:2020/10/14

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

مخطط البحث:

1- المقدمة.
2- أصل ليوبولد الأول وعائلته واستلامه العرش.
3- التحدي الأول بعد اعتلائه العرش.
4- سياسة الإمبراطور ليوبولد الأول الداخلية:
   4- أ- البلاط والادارة.
   4- ب- سياسته الاجتماعية والاقتصادية.
   4- جـ- الزواج السياسي وكسب الولاءات.
   4- د- سياسته الدينية.
   4- هـ- النشاط المعماري وتشجيع العلوم والفنون.
5- سياسة الإمبراطور ليوبولد الأول الخارجية:
   5- أ- حربه مع العثمانيين.
   5- ب- حروبه مع فرنسا:
   5- ب-1- مشكلة الوراثة الاسبانية.
   5- ب-2- حروب الوراثة الاسبانية وصراع الهيمنة على أوروبا.
6- شخصية الإمبراطور ليوبولد الأول وأهميتها.
7- الخاتمة.
8- قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة:

تأتي شهرة بعض القادة والملوك والأباطرة ليس فقط بسبب أعمالهم وانجازاتهم، وإنما بسبب عظمة وقوة خصومهم واعدائهم. والتاريخ الأوروبي مليء بالأمثلة التي تؤكد ذلك، فمثلاً في الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" اشتهر في النصف الأول من القرن السادس عشر الإمبراطور كارل الخامس (1519–1556) وكان خصمه الأكثر شهرة منه السلطان العثماني سليمان القانوني (1520–1566) وخصمه الثاني اللدود الملك الفرنسي فرانس الأول (1514–1547) و يتطرق هذا البحث أيضا إلى أشهر أباطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" في القرن السابع عشر ليوبولد الأول (1658–1705) الذي كان خصماه من أشهر قادة العالم وقتها وهم الملك الفرنسي لويس الرابع عشر "ملك الشمس" (1643–1715) والسلطان العثماني محمد الرابع (1648–1687) الذي حاصر عاصمة ملك الأسرة الهابسبورغية الإمبراطورية فيينا في العام 1683، وكأن القدر يجمع القادة العظام في وقت واحد.

بدأ العداء التاريخي للإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" في العصر الحديث مع فرنسا منذ العام 1494 عندما توغل ملكها كارل الثامن في ايطاليا، واشتد الصراع عندما وقع خليفته في الحكم؛ الملك فرانس الأول اسيرا في يد القوات الإمبراطورية في معركة بافيا في ايطاليا في العام 1525 وبقي في الاسر في مدريد لمدة عام تقريباً، أما العداء مع السلطنة العثمانية بدأ بعد معركة موهاتش في العام 1526 عندما قتل العثمانيون ملك المجر (هنغاريا) لويس الثاني؛ صهر أسرة الهابسبورغ الإمبراطورية، وبعدها محاصرة السلطان العثماني سليمان القانوني لـ فيينا في العام 1529. ونتيجةً للعداء الفرنسي العثماني المشترك للإمبراطورية نشأ تحالف استراتيجي بين الطرفين ضدها امتد لعدة قرون. في هذه الاثناء نشبت حرب الثلاثين عاماً في العام 1618 وانتهت بما عرف صلح وستفاليا في العام 1648؛ هذا الصلح الذي فرض معادلات جديدة في أوروبا؛ مذهبياً، عسكرياً، سياسياً، اقتصادياً. فكان الإمبراطور ليوبولد الأول أول إمبراطور جديد توجب عليه التعاطي مع مخرجات و نتائج هذا الصلح.

تأتي أهمية البحث من أهمية الشخصيات والأحداث التي يناقشها، فمعاصرة الإمبراطور ليوبولد الأول لكل من الملك لويس الرابع عشر والسلطان محمد الرابع وضعته أمام مهام جسام وأخطار استثنائية فرضت عليه حروباً كثيرة خارجياً و برغماتية استثنائية داخلياً. فتمحورت اشكالية البحث حول امكانية الإمبراطور ليوبولد الأول في مقاومة الأخطار الخارجية والقلاقل الداخلية التي فرضت نفسها عليه بعد التغيرات الجوهرية التي حدثت في أوروبا بعد صلح وستفاليا.

يحاول هذا البحث الكشف عن شخصية الإمبراطور ليوبولد الأول وعن الطريقة التي حكم فيها إمبراطورتيه، وما هي التحديات التي واجهته في فترة حكمه، وهل اختلفت سياسته عن الاباطرة الذين سبقوه، وكيف استطاع أن يجابه أعداءه في الخارج والداخل وكيف تمكن من إدراة الأزمات التي واجهته، وما هي أهم صفاته وانجازاته.

1- أصل ليوبولد الأول وعائلته و استلامه العرش:

حكم الإمبراطور ليوبولد الأول 47 عاماً، و هي ثاني أطول فترة حكم لإمبراطور من الأسرة الهابسبورغية الشهيرة في تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" وكان جدّه الأقدم الإمبراطور فريدريك الثالث الذي حكم 53 عاماً[1] الوحيد الذي حكم الإمبراطورية الرومانيّة المقدّسة "للأمّة الألمانية" بعدد سنوات أكثر منه.[2]

[1] – (ولد في العام 1415، انتخب ملك روماني 1440، بداية حكمه كإمبراطور 1452، وفاته 1493)

ليوبولد هو المولود الخامس والذكر الثاني للإمبراطور فيرديناند الثالث (1637–1657) من زوجته الأولى ماريا آنا ابنة ملك اسبانيا فيليب الثالث (1598–1621) و كان أجداده من أبيه و أمّه تربطهم أواصر القرابة بالدم. ولد ليوبولد في 9 حزيران 1640 في مدينة فيينا وترعرع في عائلته الإمبراطورية، و لكن في ظلّ أخيه الأكبر منه فرديناند الرابع الذي كان دائماً في الواجهة.[3] وتلقّى ليوبولد تربية يسوعيّة كاثوليكية مُحافظة و كان اهتمامه مُنصبّاً على الأمور الكنيسيّة، حتّى بلغ من العمر 14 عاماً حيث كانت الوفاة المفاجأة لشقيقه الأكبر منه و ولي العهد فرديناند الرابع، وأصبح حينها ولي العهد و الوريث الشرعي الوحيد لأسرة الهابسبورغ الإمبراطورية و توّج ملكاً على هنغاريا عام 1655 وعلى بوهيميا عام 1656.[4] بعد 3 سنوات من وفاة شقيقه توفّي والده القيصر فرديناند الثالث في العام 1657. وحكم عليه القدر وهو في عامه السابع عشر أن يعتلي عرش الإمبراطورية الرومانية المقدّسة للأمّة الألمانية، لكن الأمور كانت بدرجة كبيرة من الصعوبة أكثر مما يتوقّع أحد. لأنّ ترشيحه لهذا المنصب اصطدم بمعارضة بعض الأمراء الناخبين.

فقد قُوبِلَ حق أسرة هابسبورغ التقليدي في اعتلاء عرش الإمبراطورية الرومانية المقدّسة "للأمّة الألمانية" بتدخُّل سافر وقويّ من فرنسا في الشؤون الداخلية للإمبراطورية، لأنّ لويس الرابع عشر والمنافس العنيد لليوبولد طوال فترة حكمه كان له تأثير قويّ على عدد من أمراء الإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية وقد وضع نفسهُ هو مرشّحاً لمنصب الإمبراطور في أحد الأوقات.[5] وهذا ما تطلّب جهوداً استثنائيّة للسياسة الهابسبورغية، فقد كانت وراثته لعرش أبيه الإمبراطور بعدَ وفاته في العام 1657 أصعب من وراثة الحكم في هنغاريا وبوهيميا، فبعدَ وفاة الإمبراطور فرديناند الثالث بدأت فترة شغور للعرش استمرّت عاماً كاملاً، وهي أطول فترة يبقى فيها عرش الإمبراطورية الرومانية المقدّسة "للأمة الألمانية" شاغراً[6] وهذا دليل واضح على عمق المشكلة الداخلية في الإمبراطورية وتأثير الارهاصات الخارجية عليها. غير أن ليوبولد تمكن بعد مفاوضات مطوّلة ومضنية مع الأمراء الناخبين إثبات وجوده ضدّ الملك الفرنسي لويس الرابع عشر ورشّحيه الدوق فيليب فيلهيلم في بفالس نيوبورغ والدوق الناخب ليوبولد فيلهيلم والدوق الناخب فرديناند ماريا في بافاريا، حيث أبدى جميعهم الرغبة في الحصول على التاج الإمبراطوري. فقد جرَت الانتخابات في 18 تموز 1658و فاز ليوبولد الأول بها وتمّ تتويجه إمبراطوراً في 1 آب 1658 في كاتدرائيّة القدّيس بارتولوميس st.Bartholomaus في مدينة فرانكفورت الألمانية.[7]

وكان لموافقة ليوبولد على شروط الانتخاب القاسية التي وضعها الأمراء الناخبون، الدور الحاسم في ترجيح كفته على غيره من المنافسين، وهذا ما جعل البداية صعبة ومتعثرة للإمبراطور ليوبولد الأول في سنوات حكمه الأولى، حيث كان مرغماً على التوقيع على الشروط الانتخابية، التي وضعها أمراء الإمبراطورية الناخبين للحد من صلاحيات الإمبراطور ونفوذه بعد حرب الثلاثين عاماً. حيث لم يسمحوا على صعيد السياسة الخارجية أن يدعم الإمبراطور أعداء فرنسا، والمقصود القسم الهابسبورغي في اسبانيا، الذي كان في حالة حرب مع لويس الرابع عشر. لأنّ الأمراء الناخبين اعتبروا أنّ هذه الحرب لا تخص الإمبراطورية وهي خارج

---

[2]- Grill, Heinz: Maximilian I. Und seine Zeit, Innsbruek u.a.1977 S. 43.

3_ Schindling,Anton: Leopold I. In: Ders./Walter Ziegler (Hrsg.): Die Kaiser der Neuzeit, München 1990 S.169.

[4] - Schmued, L.: Die Vergiftung Leopold I. Von Österreich, Carinthia I. Bd. 71, 1881, S. 348.

[5]- Winkelbauer, Thomas: Österreiche Geschichte 1522-1699, Bd. 2, Ständefreiheit und die Fürsten, Berlin 2009, S. 161.

[6] - Schindling: Leopold I., S. 169.

[7] Vacha, Brigitte (Hrsg.): Die Habsburger, Eine europäische Familiengeschichte, Wien 1992, S.262.

حدودها.[8] وأهم تفصيل في هذه الشروط أنه في حال نشوب حرب مع فرنسا بسبب مصالح أسرة الهابسبورغ في اسبانيا فإن الأمراء الناخبين غير ملزمين بدعم الإمبراطور في هذه الحرب، ويجب على الإمبراطور نفسه عدم التدخل في هذه الحرب لصالح الشق الهابسبورغي الاسباني.[9]

2- التحدي الأول بعد اعتلائه العرش:

ما أن تتوج ليوبولد بالتاج الإمبراطوري حتى سارع أعداؤه بتشكيل تحالف ضده، وكان أولها تحالف (اتحاد الراين) في العام 1658 عندما تحالفت عدّة طبقات أمة (كبار النبلاء والأمراء) وازنه في الإمبراطورية مع فرنسا والسويد. وكان مؤسّس هذا التحالف من الجانب الفرنسي الكاردينال مازارن، الذي ترأس الحكومة عن لويس الرابع عشر قبل رفع الوصاية عنه. أما من جانب طبقات الأمة فقد أدّى الأمير الناخب لماينز يوحان شون بورن دوراً بارزاً في هذا التحالف، فقد قصد شون بورن أضعاف نفوذ الإمبراطور وتقوية طبقات الأمة في الإمبراطورية. وقد كانت فرنسا حامية حلف اتحاد الراين و كانت تهدف من ذلك الحفاظ على مبادئ صلح فستفاليا، والأهم من ذلك ابعاد فرنسا لأسرة الهابسبورغ الإمبراطورية عن الحرب الفرنسية الاسبانية، وحرب الشمال.[10] ولكن لم يكتب لهذا الحلف النجاح بأن يصبح قوة مؤثرة. فإنّ الضغط الذي مارسته فرنسا باتجاه نهر الراين في فترة حكم لويس الرابع عشر الفعلية أدّى إلى خسارتها دعم طبقات الأمة (كبار النبلاء) في الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية". ولم يتم تجديد هذا التحالف منذ عام 1668. إنّ الضغط العثماني في الشرق والضغط الفرنسي في الغرب أديا إلى وقوف طبقات الأمة إلى جانب الإمبراطور ليوبولد بشكل أقوى وأمتن.[11]

3- سياسة الإمبراطور ليوبولد الأول الداخلية:

3-أ- البلاط والادرارة:

كان البلاط مُرتبطاً بشكل وثيق مع السلطات المركزية، وكان مُتأثّراً بالأرستقراطية النمساوية والبوهيمية الفخمة. كما كان مشابهاً للبلاط الملكي الفرنسي في فرساي. و لجذب طبقة النبلاء إلى مركز الحكم في فيينا أُعطيت الوظائف المهمة في الجيش والحكومة لهذه الطبقة، واتّبع البلاط الإمبراطوري مراسم وأساليب البلاط الملكي الاسباني، التي استقت عاداتها من عصر الباروك الجميل والمتألق، وهذا ما ظهر جليّاً في المناسبات والاحتفالات. وكان ذلك واضحاً من قصره الذي يضم أكثر من 200 غرفة، هذا وقد عرف عن ليوبولد -كما ذكر السفراء والرسل- عظمة موكبه عندما يذهب للمدينة على فَرسه أو في عربته في موكب فخم، كما وظهر في الاحتفالات والمناسبات بأبهى الطلّات والفخامة. حتى أن عدد العاملين في البلاط الإمبراطوري كان في العام 1672 بما في ذلك موظفي السلطات الحاكمة المركزية 1966 موظفاً علماً أنّ هذا العدد كان أكثر تواضعاً قبل حوالي مئة عام اذ لم يتجاوز هذا العدد وقتها 531 موظّفاً. وبسبب ازدياد عدد الموظفين فقد اصبحت التكاليف خمسة أضعاف عن السابق.[12] مما أدى

[8] - Gotthard, Axel: Das Alte Reich 1495-1806, Darmstadt 2009, S.110.
[9] - Winkelbauer: Österreiche Geschichte, S. 161.
[10] - Schindling: Leopold I., S. 170.
[11] - Gotthard: Das Alte Reich, S. 110.
[12] - Dipper, Christopf: Deutsche Geschichte 1648ß1789, Frankfurt 1991, S. 204.

إلى وقوع البلاد في أزمة مالية. زاد على ذلك اختلاس رئيس خزينة الإمبراطورية لمبالغ كيرة من المال فكان نتيجتها الاطاحة به، علّ الأزمة المالية تنتهي.[13]

كان بلاط الإمبراطور ليوبولد شبيهاً به، فقد طغت عليه الصبغة الكاثوليكية الظاهرة، فلم يكن لديه علاقات غرامية خارج نطاق الزواج، ولم تكن في القصر عشيقات للإمبراطور كما هو الحال في قصر الملك الفرنسي لويس الرابع عشر.[14] وكان لرجال الدين وخاصّة اليسوعيين (الكاثوليكيين في طبيعة الحال) تأثير قويّ جدّاً، و نجحوا إلى حد كبير في تعبئة الرأي العام بروح الحروب الصليبية القديمة من خلال الدور الذي قاموا به كواعظين اثناء الحروب العثمانية في عام 1683.[15]

هذا وقد ضم القصر الإمبراطوري عدّة أحزاب وتيارات حاولت التأثير على سياسة الإمبراطور. كما لم يخلو القصر من المؤامرات والصراعات والتحالفات المتبدلة بسرعة.[16] ومثال على ذلك كان إشاعة محاولة اغتيال الإمبراطور عن طريق زرنيخ وضع في الشمع يؤدّي إلى اختناقه في العام 1670.[17]

وكان لافتقاد ليوبولد الأول في بداية حكمه للخبرة السياسية والمهارة في ممارسة الحكم أن ترك شؤون الحكم في البداية لمستشارين ذوي خبرة عالية واستمر ذلك حتى أوائل العام 1680 فأوكلَ منصب المستشار أو (الوزير الأول) في البداية لمعلمه السابق بورزيا porzia ، و تبعه أمير أويرسبيرغ Auersperg ، و تبعه رئيس بلاط الإمبراطور وينزل وتمت الاطاحة بهما بسبب تخابرهم مع فرنسا ونسج علاقات مشبوهة معها بدون علم الإمبراطور.[18] وهذا ما دفع ليوبولد لاتخاذ القرار الحاسم في قيادة الشؤون السياسية بنفسه ومتابعة الأمور الهامة، ولم يعيّن بعدها وزيراً أولاً.

كان المستشار يوهان بول هوشر Johan Paul Hocher 1616-1683 وخلفاؤه من الطبقة الاجتماعية الصاعدة، وكان فرانس ليسولا Franz von Lisola من أهم الدبلوماسيين الذين ساعدوا الإمبراطور في سياسته ضد فرنسا. وبسبب العدد الكبير لأعضاء المجلس السري أصبح هذا المجلس غير قادر على اتخاذ القرار ولذلك انشأ الإمبراطور ليوبولد مجلس سري استشاري خاص بالسياسة والشؤون الخارجية، وعمل جميع الوزراء والمستشارين على ترسيخ السلطة المطلقة للتاج الإمبراطوري.[19] واعتمد ليوبولد الأول في فترة حكمه على شبكة من المفوّضين والمراسلين كان يرسلهم إلى أهم الأقاليم و البلاطات التابعة له في الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية". وقد أدى هؤلاء دوراً مهماً في مجلس الرايخ.20 وبالرغم من خط ليوبولد السيء فمن المعروف أنّ الإمبراطور كان يُراسل بخطّ يده أكثر من 30 شخصاً باستمرار و قسم كبير من الموظفين العاملين لديه في إمبراطوريّته وتقول الوثائق أنّ الإمبراطور ليوبولد الأوّل قد خطّ بخط يده بين 30 إلى 35 ألف رسالة ومخطوطة وأنّ قسماً كبيراً من هذه المخطوطات والرسائل لم تتم دراستها وإعادة كتابتها بالخط الحديث حتّى وقتنا هذا.[21]

---

[13] - Press, Volker: Leopold I. In: Neue Deutsche Biographie (NDB), Bd. 14, Berlin 1985, S. 257f.
[14] - Vache, Brigitte: Die Habsburger, Eine euröpäische Familiengeschichte, Wien 1992, S. 262.
[15] - Schindling: Leopold I., S. 179.
[16] - Vache: Die Habsburger, S. 262.
[17] - Schmued: Die Vergiftung Leopold I., S. 347.
[18] - Press: Leopold I., S. 257f.
[19] - Matsch, Erwin: Der auswärtige Dienst von Österreich (-ungarn) 1720-1920, Wien 1986, S. 31ff.
[20] - Schindling: Leopold I., S. 182.
[21] - Pauser, Josef/ Scheutz, Martin/ Winkerbauer (Hg.): Quellenkunde der Habsburgerminarchie (16.-18. Jahrhundert) München 2004, S. 837.

اعترف القيصر ليوبولد في العام 1692 بدوق هانوفر دوقاً ناخباً و بذلك أصبح عدد الأمراء الناخبين في الإمبراطورية تسع أمراء. والحدث الأهم من جانب السياسة الداخلية في فترة حكم القيصر ليوبولد كان عقده معاهدة التاج مع دوق براندنبورغ في 16 تشرين الثاني 1700، والذي بموجبه أصبح فريدريك الثالث، الدوق الناخب في براندنبورغ، ملكاً مستقلّاً في بروسيا وعندها نشأت مملكة بروسيا وأصبح لها وضعها في أوروبا، و تعهّد ملكها بموجب هذا الاتفاق بتقديم 10000 مقاتل للإمبراطور في حال نشوب حرب. والمحصلة على صعيد سياسته الداخلية فقد استمر الإمبراطور ليوبولد على خُطى أسلافه، حيث استمرّ بترسيخ النظام الفدرالي وبقي دستور طبقات المقاطعات والأقاليم والإدارة الإقطاعية بدون أي تعديل جوهري؛ حيث اعتمد في إدارته على النبلاء ورجال الدين وبقي المذهب الكاثوليكي المذهب الرسمي للإمبراطورية، وتم بناء وتأسيس أديرة جديدة. وبالرغم من خسارة اليسوعيين تأثيرهم السياسي إلا أنهم هيمنوا و بشكل دائم على المدارس الثانوية والمتوسطة وعلى الرقابة وعلى الأدب.[22]

حدّد ليوبولد وحده فقط بعد السنوات الأولى لحكمه الاتجاه السياسي الذي اقتنع به وفق برنامج واضح له. وكان شعاره الخاص في ياته: "تحقيق الهدف من خلال النصيحة والاجتهاد".[23] أما بالنسبة لسياسته على الصعيد الداخلي الضيق؛ أي ضمن أراضي وأملاك الهابسبورغ الخاصة فكان استبداده كنيسيّاً و ذو طابع أرستقراطي، لم يهدف إلى بناء حكم مطلق مركزي وفي هذا الصدد تراجعت أملاك أسرة الهابسبورغ الوراثية مقارنة بدوقيه براندنبورغ- بروسيا.[24] كان للميول الاستبدادية حدودها أيضاً، وهذا ما سمح للهيئات العقارية بإثبات وجودها في مناطق الهابسبورغ المختلفة. وكان من النقاط بالغة الأهمية على المستوى الداخلي استعادة القيصر ليوبولد السيطرة على مدينة تيرول (Tirol) المهمة، وعدد من المناطق المهمة في العام 1665 وهذا ما عزّز مكانة الإمبراطور على مستوى السياسة الداخلية.[25]

3-ب- سياسته الاجتماعية و الاقتصادية:

من وجهة النظر الاجتماعية ازداد ضغط كبار الملاك والنبلاء على الفلاحين، لذلك حاول الإمبراطور تخفيف هذا الضغط من خلال القانون الخاص الذي أصدره في العام 1679. وحتى عام 1848 والذي شكل الأساس للعلاقة بين الملاك والفلاحين، حيث ضمن للفلاحين حقوقاً قانونية أفضل، لكن في نفس الوقت استمرّ الملاكين بفرض مطالبهم. كما حاول ليوبولد مكافحة ظاهرة الفقر المتزايدة، فأمر ببناء منازل خاصة للمشرّدين والفقراء في مدينة فيينا في العام 1671 كما أمر ببناء مأوى كبير للفقراء في العام 1691، حيثُ قطن في هذا المأوى حتى عام 1696 حوالي 1000شخص.[26] ولكي يضع ليوبولد حدّاً لطموح الاستقلال لدى الأمراء في إمبراطوريته، عمدَ إلى استمالة موالين وأتباع له عن طريق تقوية الأمراء والنبلاء المغمورين؛ بأن مكّن الفرسان وصغار الملاك والنبلاء بشكل واضح، وبالتالي اعتبره هؤلاء حامياً لهم في وجه كبار النبلاء والملاك. كما قام بدعم المزارعين وحقوقهم في وجه الأمراء الأقوياء. استطاع ليوبولد تقوية ولاء الأمراء والنبلاء له عن طريق براعته في التعامل مع الجميع، فعلى العكس ممن سبقه من الأباطرة لم يعتمد ليوبولد في حكمه على الفردية أو إشراك الأمراء الناخبين فقط، بل أعطى جميع الأمراء والحكام

[22] - Wolf, Adam: „Leopold I.“, in: Allgemeine Deutsche Biographie (1883), S. 9, [Onlinefassung]; URL: https://www.deutsche-biographie.de/pnd118571869.html

[23] - Heinrich, R. R.: Leopold I. In: Biographisches Lexikon zur Geschichte Südosteuropas, Bd. 3, München 1979, S. 24.

[24] - Schindling: Leopold I., S. 182.

[25] - Press: Leopold I., S. 258.

[26] - Brigitte: Die Habsburger, S. 234.

المحليين حق المشاركة، ودفع بهم إلى التنافس فيما بينهم و نصّب نفسه قاضياً عليهم و نجح بدهائه أن يكون سيد الموقف دائماً. كما نجح بإيصال أقاربه إلى المناصب الدينية العليا في المدن التي حكمت من قبل الأساقفة ورجال الدين. [27]

وفي عهد ليوبولد الأول ضربت موجات من الطاعون في أراضي الإمبراطورية في العامين 1678 و1679 راح ضحيتها 50,000 انسان في مدينة فيينا وحدها. ومن الناحية التجارية فقد تمّ إنشاء عدد من المصانع الأولية دعماً للتجارة والصناعة وفي العام 1666 تم تأسيس منظمة اقتصادية مركزية مع كلية التجارة[28] وهذه كان اختصاصها المراقبة والإشراف على التجارة والجمارك وينتمي ممثلوا التجار إلى هذه المنظمة، وأصبحت نموذجاً لمنظمات مماثلة تأسّست في مناطق أخرى من أراضي الإمبراطورية.[29]

3-جـ- الزواج السياسي وكسب الولاءات:

حاول الإمبراطور ليوبولد الأول التقرب من الطبقة المالكة وأمراؤها (طبقات الأمة) بعدّة طرق، وكان أهمها الزواج السياسي فقام بتزويج فتيات أسرة الهابسبورغ زيجات سياسية صبّت في مصلحته. فشقيقته ماريا آنا كانت زوجة الملك الاسباني فيليب الرابع، و أخته (من أبيه) الينوورا تزوّجت ميشيل ملك بولندا، وبعدهُ اصبحت زوجة الدوق كارل الخامس دوق اللورين. وأخته ماريا آنا جوزيفا كانت زوجة الدوق الناخب في بفالس جان ويليم هذا الدوق الذي تزوّج ليوبولد الأول شقيقته اليونورا في زواجه الثالث. ومن اللافت أن قرابة مُباشرة كانت تربطهُ مع لويس الرابع عشر منافسه الدائم و كانا في نفس العمر فقد كانا أولاد خاله وكانا في نفس الوقت أصهرة الملك الاسباني.[30]

حتى أن الإمبراطور ليوبولد شخصياً استثمر زواجه لهذه الغاية ففي زواجه للمرة الثالثة في العام 1676 اقترن بالأميرة الينورا من بفالس نيوبورغ، وزوج ولده من الأميرة أميليا من براون شفايغ وبهذه الزيجتين ضمن ولاء أسرتين أمريتين عاليتي الشأن كانت سابقاً تكنان العداء له ولأسرته.[31] وحتى زيجاته الثلاثة فقد كانت لمصالح سياسية، ورزقه الله في هذه الزيجات 16 طفلاً من زوجاته الثلاث، كتبت الحياة لستة منهم فقط. فزوجته الأولى كانت قريبته مارغريتا تيريزا 1651-1673 من الأسرة الهابسبورغية (الشق الاسباني) وكانت غايته من هذا الزواج الذي حدث في العام 1666 هو تثبيت طموح ورغبة الشق النمساوي الهابسبورغي في الحصول على العرش الاسباني في المستقبل، وبشكل عام كانت الحفلات التي يقيمها ليوبولد بازخة ومكلفة فقد استمرت الاحتفالات بزواجه الأول لمدة عام كامل، كما أنه أقام احتفالاً خاصا في العام 1668 بمناسبة عيد ميلاد زوجته الأولى كلف 100000 قطعة ذهبية. وتوفّيت مارغريتا تيريزا في عمر 22 عاماً أي بعد ست سنوات من زواجها وبعد أن وضعت أربعة أطفال؛ توفّي ثلاثة منهم في سن مبكرة وبقيت على قيد الحياة ماريا انطوانيت (1669-1692) التي تتزوجت عندما كبرت من دوق بايرن الناخب، غير أن هذا الزواج الذي أدّى إلى كارثة. بسبب الكراهية الكبيرة بين الزوجين مما أجبر ماري انطوانيت للهرب واللجوء إلى عند أبيها في قصره في فيينا.

---

[27] - Gotthard: Das Alte Reich, S. 112, 116.
[28] - Brigitte: Die Habsburger, S. 241.
[29] - Ambrosius, Gerlod: Staat und Wirtschaftsordnung; eine Einfphrung in Theorie und Geschichte, Stuttgart 2001, S. 161.
[30] - Schindling: Leopold I., S. 169.
[31] - Gotthard: Das Alte Reich, S. 111.

تزوج ليوبولد الثاني من دوقة تيرول وتُدعى كلاوديا 1653-1676 مُباشرةً بعد وفاة زوجته الأولى مارغريتا تيريزا؛ لكن هذا الزواج لم يستمر طويلاً بسبب وفاة كلاوديا عن عمر يناهز 23 عاماً وكان ذلك في العام 1676، وبعد أن أنجبت طفلتين ولكن توفّيتا في المهد. وكان ليوبولد في حاجةٍ ماسّة لأن يترك وريثاً يخلفه في الحكم وهذا ما دفعه لزواجه الثالث فتزوّج اليونورا ماجدلينا 1655-1720 ابنة دوق نيوبورغ فالس وكان الدافع لاختياره لها هو التصالح مع والدها الذي اشتهر بعدائه لأسرة الهابسبورغ. وقد وطد هذا الزواج سلطة ليوبولد في الإمبراطورية. واشتهرت هذه الزوجة بتديّنها وتمسّكها بالكاثوليكية، وكانت متعصّبة لمذهبها. وقد وصفت علاقة ليوبولد معها بالانسجام والمحبة، وأنجبا عشرة أطفال بقي على قيد الحياة خمسة منهم:

1. جوزيف 1678 - 1711 الذي اعده والده ليكون خليفته على العرش.
2. ماريا اليزابيت 1680 - 1741 كانت مثقّفة ولم تتزوج.
3. ماريا آنا 1683- 1754 تزوجت من ملك البرتغال يوحان الخامس.
4. كارل 1685 - 1740 الذي اصبح إمبراطورا بعد وفاة شقيقه.
5. ماريا ماجدلينا 1689 - 1743 لم تتزوج

هذا عاشت اليونورا 15 عاماً بعد وفاة زوجها، وبعد وفاة ابنها جوزيف بشكل مفاجئ في العام 1711 واستلمت الوصاية على ولدها كارل الرابع حتى استلم العرش بشكل نظامي .[32]

3-د- سياسته الدينية:

اتّبع ليوبولد سياسة إصلاح ديني مضادة تهدف إلى قمع البروتستانتية، التي كانت قوية بشكل واضح في هنغاريا، و تم التعامل من قبل السلطات الإقليمية و طبقات الأمة بشكل مختلف و متفاوت مع هذه القضية، حيث تم الضغط على البروتستانت المتبقين في أراضي وأملاك الهابسبورغ للتحول إلى المذهب الكاثوليكي. فانخفض في شلزين Schlesien على سبيل المثال عدد أماكن العبادة البروتستانتية إلى حوالي 220 كنيسة في عام 1700 بعد أن كان هذا العدد يبلغ 1400 قبل مئة عام أي في العام 1600. ولم يخف الضغط على أتباع المذهب البروتستانتي إلا في نهاية عهد ليوبولد.[33]

3-هـ- النشاط المعماري وتجشيع العلوم والفنون:

لكي يجعل ليوبولد بلاطه أكثر جاذبية، ابتكر برنامج بناء طموح، حوّل فيينا من خلاله إلى مدينة باروكيه محضة، فله يعود بناء قصر شونبرون Schloss Schönbrunn وكذلك جناح ليوبولد في هوفبورغ وأسس التحول إلى النظام المعماري الباروكي للمدينة. وأمر ببناء العمود الثلاثي في فيينا لتخليد ذكرى موجة الطاعون ويحتوي هذا العمود على تمثال له وهو يصلّي مرتدياً درعاً احتفالياً، وأصبح هذا الصرح المعماري قدوة ومثالاً يُحتذى لأثار مماثلة في أماكن مختلفة. وله العديد من الأعمال المعمارية التي أُنشأت في عهده. حيث قام الفنانون في فيينا بإظهار ليوبولد في أعمالهم تارةً وكأنّه يقدّم إمبراطوريّته لقوى السماء بكل خشوع وإيمان، وتارةً

[32] - Mutschlechner, Martin: https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-ehe-und-familie

[33] - Evans, Robert Johan Weston: Das Werden der Habsburgemonachie 1550-1700 Gesellschaft, Kultur, Institionen, Wien 1989, S. 102.

يظهر في الأعمال الفنية أثناء خشوعه و ركوعه أمام السيدة مريم العذراء.[34] كما أظهر الرسامون والفانون ليوبولد في لوحاتهم مرتدياً اللباس الاسباني المنمق ومرتدياً الشعر الطويل المستعار كما كان في الواقع.[35]

كان ليوبولد موهوباً لغوياً فقد تحدث بطلاقة بعدة لغات منها الألمانية واللاتينية والاسبانية والفرنسية. وكانت الايطالية لغتهُ المحببة. اهتمّ بشغف بالتاريخ والأدب و العلوم. وكان جامعاً للكتب والتحف والعملات المعدنية، ودعم تأسيس وبناء الجامعات في انسبروك Innsbruck وأولموتز Olmutz وبريسلاو Breslau، وأسس في عام 1692 أكاديمية الفنون الجميلة، وكان رئيس جمعية ليوبولدينا Leopoldina للبحوث الطبيعية، والتي سميت على اسمه. وأسّس أيضاً كلية خاصة لعلم التاريخ. واللافت أن ليوبولد الأول كان موسيقياً موهوباً مولعاً أتقن العزف على العديد من الآلات الموسيقية وقاد أوركسترا خاصة به، وألّف ما يزيد عن 230 مؤلفاً موسيقياً في شتى الأنواع (دينية، خطابية، باليه، أغاني ألمانية) وكان شغوفاً بالموسيقى الإيطالية التي روج لها وخاصة الأوبرا، وأمر ببناء مسرح في البلاط عام 1659. [36]

4- سياسة الإمبراطور ليوبولد الأول الخارجية:

بالرغم من أنّ شخصية وطبيعة ليوبولد كانت مُحبّة للسلام لكنّهُ أمضى معظم حياته في الحروب باستثناء فترات راحة بسيطة فكانت حربه:

1- ضد السويد من 1657إلى .1660

2- ضد العثمانيين من 1662إلى 1664.

ومن 1683إلى 1699.

3- ضد فرنسا من 1672إلى 1679.

ومن 1688إلى 1697.

ومن 1702 حتى وفاته في العام 1705.[37].

وجد الإمبراطور نفسه قابعاً تحت ضغط خارجي مزدوج فكانت تقضّ مضجعه الهيمنة الفرنسية بقيادة لويس الرابع عشر على حدوده الغربية من جهة، والخطر العثماني على حدوده الشرقية من جهة أخرى. مما فرض على هذا الإمبراطور المسالم بفطرته العيش طوال حياته تحت ضغطين وتهديدين كبيرين وعلى جبهتين متعاكستين أجبرته على خوض العديد من الحروب.

فكانت حربه الأولى وهي ما عرفت بحرب االشمال التي ورثها ليوبولد عن والده؛ كنوع من التحالف مع بولندا ضد ملك السويد كارل العاشر كوستاف (1655 – 1660)؛ الذي أراد التوسّع في بولندا واحتلال جزء من أراضيها إلى جانب تهديد أراضي هنغاريا. ولم تنته هذه الحرب إلّا بوفاة كارل العاشر وتوقيع اتفاق أوليفا Olivo 3 أيار 1660 والذي بموجبه تمّ الاعتراف باستقلال بولندا وتأمين حدود هنغاريا.[38]

---

[34] - Mutschlechner, Martin: https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-der-barockkaiser

[35] - Press: Leopold I., S. 259.

[36] -Leopold I. In: https://de-academic.com/dic.nsf/dewiki/842151#cite_ref-65

[37] - Wolf, Adam: „Leopold I.“, in: Allgemeine Deutsche Biographie (1883), S. 9, [Onlinefassung]; URL: https://www.deutsche-biographie.de/pnd118571869.html

[38] - Press: Leopold I., S. 258ff.

4–أ– حروبه مع العثمانيين:

احتلّ العثمانيون مدينة أورادیا Großwardein (في رومانيا حالياً) في 8 تموز 1660 وضغطوا على أقليم ترانسلفانيا Siebenbürgen وزحف الجيش العثماني في العام1663 ب 120000 جندي و 12000 انكشاري و توغلوا في أراضي الإمبراطورية و هدّدوا فينيا عاصمة الاملاك الهابسبورغية. وهزم العثمانيون في 1 آب 1664 في منطقة كوتهارد على نهر الراب[39] و وقّع العثمانيون و الإمبراطورية في العام1664 اتّفاق هدنة Vasvär.[40]

بعد وصول قره مصطفى باشا لمنصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية في العام 1676،41 استغلّ العثمانيون الأوضاع السيئة في هنغاريا و حنق أهلها على الإمبراطورية الرومانية المقدّسة " للأمة الألمانية " وحروبها هذه الأخيرة مع الملكية الفرنسية، فتشجّع العثمانيون للزحف على أراضي الإمبراطورية الرومانية المقدّسة و حصار فيينا من 7/13 حتى 9/12 في العام 1683، وقبل الحصار كان الإمبراطور ليوبولد الأول قد غادر فيينا في 7 تموز 1683 مع بلاطهِ وحاشيته إلى مدينة باسو (Passau) أولاً، ومن ثمّ إلى لينز (Linz). وكان انسحابه هذا اشارة للهروب الجماعي للسكان في فيينا، حيث غادرها حوالي 60000 انسان مع ما استطاعوا من امتعتهم وممتلكاتهم، ومن حسن حظ فيينا أن مهمة الدفاع عنها وقعت على عاتق دوقها شتاريمبيرغ (Starhemberg) الذي كلفه الإمبراطور بالدفاع عن المدينة وعينه قائداً أعلى للمدينة قبل مغادرته. 42 وكان طاقم الحامية المكلف بالدفاع عن المدينة مؤلف من 22000 مقاتل (العدد متفاوت في المصادر والمراجع ويتراوح بين 15000و 22000) منها 3000 مشاة وتسع مجموعات فرسان صغيرة 7500من سكان فيينا المسلحين 700 من الطلاب. لم يأخذ أحد من ملوك وأمراء أوروبا الهجوم العثماني على فيينا على محمل الجد مثل ملك بولندا يوهان سوبيسكي (Johann Sobiski1696–1629) لأنه كان يعلم علم اليقين ماذا ينتظر بولندا في حال سقطت فيينا في يد العثمانيين، مما دفعه وبتشجيع من بابا الفاتيكان إلى توقيع تحالف دفاعي هجومي مع الإمبراطور ليوبولد الأول في 31 آذار 1683،[43] ووقع الإمبراطور هذا التحالف في 2 آيار من نفس العام.[44]

وكان الدفاع الأسطوري لحامية فيينا بقيادة شتاريمبيرغ (Starhemberg) الذي سمح لجيش الإنقاذ المسيحي بقيادة ملك بولندا يوهان سوبيسكي (Johann Sobiski) وقائد القوات الإمبراطورية الدوق كارل الخامس حاكم اللورين من سحق الجيش العثماني في معركة كالينبيرغ (Kahlenberg) في 1683/9/12 خاصةً بعد أن ساندهم في ذلك حلف دفاعي من عدد من القوى الأوروبية كان قد أسّسه بابا الفاتيكان.

ولكن عشية النصر في فيينا فقد انحل التحالف مباشرةً بين الإمبراطور ليوبولد والملك البولندي يوحنا سوبسكي، ولكن ذلك لا يمنع القول أنّ هذا النصر العظيم كان بمثابة نقطة تحول هامّة بالنسبة لسياسة الإمبراطور الشرقية(مع عدوّه العثماني)، حيثُ بدأت قوات الإمبراطور بالاعتماد على دوق اللورين كارل الخامس حيثُ شنّ حرب هجومية في العام 1686 على مدينة بودا، وحقق في

---

[39] - Wolf: Leopold I.
[40] - Press, Volker: Kriege und Kriesen Deutschland 1600-1715, München 1991, S. 411.
[41] - Matuz, Josef: Das Osmanische Reich, Grundlinien seiner Geschichte, Darmstadt 2006, S. 183.
[42] - Zinkeisen: Bd. 5, S. 101f.
[43] – لمعلومات تفصيلية حول بنود المعاهدة انظر: Amon, Ropert: 1683 Der letzte Widerstand, BoD, 2016, S. 16f.
Kreiser, Klaus: Der osmanische Staat 1300-1922, München 2001, S. 30.
[44] - Zinkeisen: Bd. 5, S. 103f.

العام 1687 نصراً عظيماً في منطقة موهاتش هذه المنطقة التي تذكّر الأوروبيين جميعاً بكارثة مريرة حلّت بمعركة موهاتش عام 1526 عندما سحق السلطان سليمان القانوني الجيش الهنغاري عن بِكرة أبيه و قتل 24 ألف جندي و لقي الملك الهنغاري وقتها و صهر أسرة الهابسبورغ لويس الثاني (Ludwig II.) حتفه أثناء الهرب وقام العثمانيون بعدها بحرق المدينة،[45] و بعدها احتلّ سليمان عاصمة هنغاريا بودابست

وفي العام 1688 تم استعادة بلغراد من قِبَل القوات الإمبراطورية (وهو التوقيت الذي أعلن الملك الفرنسي لويس الرابع عشر حربه على الإمبراطورية من الغرب واجتاح اقليم بفالس Pfalz)[46] وحققت هذه القوات نصراً مهماً في szlankamen في العام 1691 وبعدها توغّلت القوات الإمبراطورية في الجنوب الشرقي. وكان للعبقرية العسكرية التي اتّصف بها أمير سافونا الفضل الأكبر في الحاق هزيمة مدوية بالسلطان العثماني في 1697/9/11في مدينة زينتا Zenta الصربية على نهر تيسا Theib هذه الاجتياحاتانتهت بمعاهدة كارلوفيتس Karlowitz 1699/1/26 التي انهت و بشكل حاسم كل الوجود العثماني في هنغاريا وسلافونيا و ترانسلفانيا كما قضت هذه المعاهدة على أي تهديد عثماني مستقبلي على فيينا و غيرها من أراضي الإمبراطورية على نهر الدانوب.[47]

4-ب- حروبه مع فرنسا:

عند مراجعة العلاقة بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" مع فرنسا، يتبين أن تأثير فرنسا في عهد الملك لويس الرابع عشر على سياسة الإمبراطورية وصل إلى درجة كبيرة جداً لم تصلها أي دولة أخرى في وقت من الأوقات.[48] فقد بلغ طموح لويس الرابع عشر حدود السماء ولقب نفسه بـ "ملك الشمس" وأراد أن تشرق شمسه ليس على فرنسا فقط، بل أرادها أن تشرق على كامل أوروبا، وخاصةً على الأراضي المنخفضة والإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" وايطاليا كما ذكر لويس الرابع عشر ذلك مراراً.[49]

لقد كان العام 1697 عاماً مفصليّاً في تاريخ الإمبراطورية، فاندحار العثمانيين في الشرق مكّن ليوبولد الأوّل من التفرُّغ لمشاكله في الغرب، ولأجل ذلك استنفر البلاط الإمبراطوري بشكل كامل بسبب الضغط المتزايد في غرب أوروبا حيث كان عليه مواجهة أزمتين مصيريّتين أوّلها حرب الوراثة الاسبانية وثانيها توسّعات واجتياحات لويس الرابع عشر وهاتين الأزمتين لا يمكن فصلهما عن بعضهما منذ أن قام الملك لويس الرابع عشر في العام 1660 بالزواج من ماريا تيريزا الابنة الأكبر للملك الاسباني فيليب الرابع ووريثة عرشه.

وكان التدخل الفرنسي ضد الإمبراطورية من جهة الشرق في هنغاريا الدافع الأساسي للاقتتال وتدخل الإمبراطور ليوبولد الأول ضد لويس الرابع عشر في حربه ضد هولندة من الغرب هذه المرة، ليبدأ الاحتاك العسكري المباشر بن الطرفين.[50] على عكس

[45] - Hammer, Joseph von: Geschichte des Osmanischen Reiches, Bd. 3, Pest 1828, S. 61.
[46] - Vierhaus, Rudolf: Staaten und Stände, von Westfälischen bis zum Hubertusburger Frieden 1648-1763, Berlin 1984, S. 237.
[47] - Press: Leopold I., S. 256f.
[48] - Dochhardt, Heinz: Alts Reich und Europäischen Staatenwelt 1648-1806, München 1999, S. 53.
[49] - Burkhardt, Johannes: Vollendung und Neuorientierung des Frühmodernen Reiches 1648-1763, Stuttgart 2006 , S. 99.
[50] - Press: Leopold I., S. 257f.

الانتصارات على العثمانيين لم يقابلها نجاح للإمبراطور في حروبه مع فرنسا،[51] ففي بداية الحروب أظهرت الإمبراطورية ضعفاً واضحاً وتشتّتاً بين أمراء الأقاليم في الإمبراطورية؛ بالمقابل كان هناك تأثيراً قويّاً لفرنسا داخل الإمبراطورية من الناحية الدينية والإدارية، ويعود السبب الرئيسي لفشل الإمبراطورية في مواجهة فرنسا هو قِدَم النظام العسكري في الإمبراطورية مقارنةً بالنظام العسكري الفرنسي المتطور أشواطاً عن نظيره.

كانت الحرب الأولى مع فرنسا 1672–1779 عندما تحالف ليوبولد الأول مع اسبانيا ليواجه الخطر الفرنسي في اللورين وهولندا. ورغم نجاح الإمبراطور في الراين إلا أن الوضع في الأراضي المنخفضة كان صعباً حيث انتصر الفرنسيون في العام 1674 عند Senef في الأراضي المنخفضة، وفي أغلب المعارك حافظ لويس الرابع عشر على تفوقه وانتصاره بسبب أسلحته القوية وحنكته السياسية، وهذا ما دفع اسبانيا وهولندا إلى التسوية مع فرنسا وعقد صلح في عام 1678 وتبعتهما الإمبراطورية في العام 1679.

احتفظت فرنسا بسلسلة من المدن الحصينة في الأراضي المنخفضة وأخذت فرايبورغ و إقليم اللورين. في وقت السلم من 1679 وحتى 1683 استغلّت فرنسا الفرصة و دفعت عدداً من المدن والقرى التابعة للإمبراطورية للانضمام إلى فرنسا. وهذا ما دفع القيصر ليوبولد الأول في العام 1686 إلى عقد تحالف أوغسبورغ مع معظم الأمراء الألمان للدفاع عن الإمبراطورية ضد فرنسا، فأعلن الملك لويس الرابع عشر في 1688 الحرب على الإمبراطورية والتي استمرّت حتى 1697 واحتلّت قوّاته كل أراضي الراين باستثناء كولبينس Koblenz وكولن Köln ، كما أمر قوّاته 1689 بتدمير وحرق أقاليم بفالس Pfalz وأراضي مقاطعة بادن Baden عن بِكرةِ أبيها. فقام ليوبولد الأول ردّاً على ذلك قام ليوبولد بعقد تحالف كبير مع كل من هولندا وانكلترا واسبانيا وسافوين والدنمارك ومعظم الأمراء الألمان أهمّهم أمراء هانوفر وبراندنبرغ غايته الأساسية محاربة فرنسا، ورغم نجاح ليوبولد بتحرير بعض أراضي الإمبراطورية، إلا أن النتائج كانت غير مؤثرة وقليلة بشكل عام.[52]

4–ب–1– مشكلة الوراثة الاسبانية:

كان من المتوقّع في وقت مبكر نسبياً أن يموت الملك الاسباني كارل الثاني Karl II بدون مشاكل. كما كان متوقعاً أيضاً بأن القوى الأوروبية الأخرى و خاصة فرنسا لن تقبل بتكرار الاستثناء التاريخي الذي حدث في عهد الإمبراطور الهابسبورغي كارل الخامس. Karl v 1500–1558 –الذي كان ملكاً على اسبانيا منذ 1516 وإمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية المقدسة للأمة الألمانية منذ 1519– والذي جعل فرنسا بين فكّي كماشة من أسرة الهابسبورغ. لذلك ناضل لويس الرابع عشر لمنع توحيد أراضي أسرة الهابسبورغ في الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" وفي اسبانيا. في المقابل كان ليوبولد مؤمناً بإعادة توحيد هذه الأملاك لأسرته وإعادة إحياء أمجادها، لذلك بدأ يتفاوض مع فرنسا منذ العام 1660، وقام الطرفان بعقد اتفاق سري بخصوص هذا الشأن في العام 1668 تضمن اقتسام أملاك اسبانيا. وقام الاسبان أنفسهم بتسمية الأمير الناخب في بافاريا جوزيف فرديناند وريثاً للعرش الاسباني وأدخلوه في ميدان لعبة وراثة العرش لكن القدر باغته وتوفي بعد فترة قصيرة.

بعد ذلك طور الملك الفرنسي لويس الرابع عشر بالاشتراك مع ملك انكلترا فيلهيلم الثالث .Wilhelm III (1689– 1702) خطة تقسيم جديدة لإسبانيا، تضمّنت أن يأخذ الأمير كارل ابن الإمبراطور ليوبولد اسبانيا ومستعمراتها، بينما يأخذ فيليب دوق

[51] - Press: Kriege und Krisen, S. 437.

[52]- Wolf, Adam: „Leopold I.“, in: Allgemeine Deutsche Biographie (1883), S. 9, [Onlinefassung]; URL: https://www.deutsche-biographie.de/pnd118571869.html

أنجو Phillip von Anjou الممتلكات الايطالية (1683–1746) (دوق انجو حتى 1710 وملك اسبانيا من 1700إلى 1746). وفيليب انجو سمي بشكل صريح وواضح في وصية الملك الاسباني كارل الثاني الذي توفي في العام 1700 كوريث له. وبالرغم من ذلك فقد كان الإمبراطور ليوبولد مقتنعاً بصفته رئيساً لأسرة الهابسبورغ بأنّه أحق بالحصول على الممتلكات الاسبانية؛ لكنهُ كان مقتنعاً في نفس الوقت أن القوى الأوروبية ستعمل جاهدة على منع توحيد أسرة الهابسبورغ وإبقائها مقسّمة. لذلك قام بالتخطيط لعمل خطين جديدين لأسرة الهابسبورغ. أحدهما ابقاء ولده كارل على الممتلكات الاسبانية، بينما يحصل ولده جوزيف على الميراث الإمبراطوري. وبناءً عليه قام بإعلان ولده كارل ملكاً على اسبانيا في العام 1703 وفي اتفاق بين كارل وجوزيف (الإمبراطور المستقبلي) تنازل جوزيف لكارل عن كل الممتلكات الاسبانية باستثناء لومابارديا الايطالية. وفي نفس الوقت تم إبرام اتفاق سري بشأن الخلافة والوراثة في أسرة الهابسبورغ (الاتفاق المتبادل للوراثة) و خلاله تم تثبيت الخلافة المتبادلة للطرفين.[53]

4– ب– 2– حرب الوراثة الاسبانية وصراع الهيمنة على أوروبا :

أراد ليوبولد استثمار نجاحه في حروبه ضد العثمانيين، ودحرهم أمام أسوار فيينا بجعل الإمبراطورية صاحبة النفوذ الأقوى في أوروبا؛ لأنه رأى نفسه السيد الأول في أوروبا بسبب امتلاكه لقب القيصر "الإمبراطور". غير أن طموح الهيمنة هذا استفزّ فرنسا التي كان يحكمها ملك الشمس لويس الرابع عشر والذي كان في أفضل أوقاته. حيث أصبحت فرنسا في عهد لويس الرابع عشر أعظم قوّة أوروبية من الناحية الاقتصادية و العسكرية. وكان ليوبولد منافساً قويّاً للملك الفرنسي لويس، وعدّ ليوبولدا لقب إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة "للأمة الألمانية" ميّزة تجعله صاحب السلطة الأولى في العالم المسيحي الغربي وبناءً على ذلك تعمّد ليوبولدا إنعاش هذه الأفكار التي تعود جذورها إلى العصور الوسطى، وخاصّة بعد انتصاره على العثمانيين وتحرّير الإمبراطورية من خطرهم.

وقد أدى هذا التنافس والتحدّي لزعامة أوروبا بين الإمبراطور ليوبولد الأول والملك الفرنسي لويس الرابع عشر إلى اندلاع العديد من الحروب، منها عندما بدأت فرنسا بحربها التوسّعية في أراضي الإمبراطورية والتي كان هدفها الأساسي احتلال الأراضي الإمبراطورية غرب نهر الراين وجعل نهر الراين حدّاً بين الطرفين، ومما دفع الإمبراطور ليوبولد بصفته حامياً لكل أراضي الأمراء التابعين له بإعلان الحرب على فرنسا بالرغم من انشغاله بالحروب العثمانية، ومما جعله يخوض حربين على جبهتين متعاكستين في نفس الوقت شرقاً وغرباً.

تصاعد النزاع بعد وفاة آخر ملك اسباني هابسبورغي في عام 1700 بسبب استياء القصر الملكي في فيينا لأنّ كارل الثاني –وفي آخر وصيّة له– منح الحق في وراثة عرشه إلى فيليب حفيد ملك الشمس Philipp von Anjou وهو الأمر الذي لم تعترف به فيينا، بل سعت للحصول على الدعم من قِبَل القوى الأوروبية الأخرى ووكان أول هذا الدعم من بريطانيا العُظمى؛ التي حاولت وبشتى السبل الحفاظ على توازن القوى في القارة الأوروبية. وقد كان الهدف من هذا التوازن هو منع أي قوة أوروبية من التفوّق والهيمنة على القوى الأُخرى، نظام التوازن هذا كان قد نشأ في العام 1495 وهو ما عُرِفَ بالتحالف المقدّس الذي ضمّ كل من بابا الفاتيكان ألكسندر السادس والإمبراطور ماكسيميليان الأول والبندقية وملوك اسبانيا فرديناند وايزابيلا وميلانو ضدّ الملك الفرنسي

[53] - Brigitte: Die Habsburger, S. 246ff

كارل الثالث عندما غزا بقواته ايطاليا.[54] وبالتالي منع تفوّق فرنسا وبشكل سريع تشكّل حلف معادٍ لفرنسا وداعم لأسرة الهابسبورغ الإمبراطورية في سعيها للحصول على التاج الاسباني كانت خطة ليوبولد ترمي إلى:

– أن يضمن لولدهِ البكر جوزيف لقب القيصر و السيادة على الأقاليم في أوروبا الوسطى.

– أن يضمن لولده الأصغر كارل الحصول على العرش الاسباني وتتويجه ملكاً. [55] وهذا يذكر المتتبع لتاريخ أسرة الهابسبورغ وتاريخ أوروبا بفترة حكم الإمبراطور كارل الخامس (1516–1556).

لا شك أنه كان من دواعي سرور الملك الفرنسي لويس الرابع عشر قبول وصية الملك الاسباني المتوفي كارل الثاني، الذي قال كلمته المشهورة "لا يوجد جبال البرينيه بعد الآن"[56] عندما تمّ الاعتراف بحفيده في مدريد ملكاً على اسبانيا تحت اسم فيليب الخامس، غير أن هذا الحدث سرع تحالفاً كبيراً في العام 1701 بين انكلترا و هولندا والإمبراطور وأغلب أمراء الإمبراطورية باستثناء أمراء بايرن وكولن اللذان تحالفا مع الملك الفرنسي. كما انضم لاحقاً إلى هذا التحالف الكبير كل من سافوين والبرتغال. وبناءً على طلب القوى البحرية الحليفة قام ليوبولد بنقل حقّه في العرش الاسباني لابنه الثاني كارل في 16 أيلول 1703 هذا الشاب الذي وصل إلى اسبانيا في آذار 1704 و وتم الاعتراف بهِ في اسبانيا من قبل الفريق الداعم لأسرة الهابسبورغ تحت اسم الملك كارل الثالث، وبناءً على ذلك التكاتف حقّق الحلف الإمبراطوري نصراً مهما على الفرنسيين في العام 1704 في معركة هوخشتات Hochstadt وتم احتلال بافاريا من قبل القوات الإمبراطورية.[57] استطاعَ أخيراً ليوبولد أن يعيش لحظة إذلال فرنسا قبل أن يموت في 5 أيار 1705 عن عمرٍ ناهز 65 عاماً وفترة حكم استمرّت 48.

5– شخصية الإمبراطور ليوبولد الأول وأهميتها:

تمتّع ليوبولد بشخصية خجولة مماطلة تستّرت تحت عظمة اللقب الإمبراطوري، و لم يكن شكله الخارجي جذاباً بل كان كما أغلب أباطرة الهابسبورغ مائلاً للقبح و البشاعة، فقد كانت شفته السّفلى ظاهرة للأمام بشكل مُبالغ فيه، وكان ليوبولد معتقداً جداً بمنصب ولقب القيصر؛ وخصوصاً من الناحية الدينية؛ وبالتحديد بعد انتصاره على العثمانيين وانهائه لمسيرة اجتياحهم وتوغّلهم في أوروبا، وهذا ما استثمرتهُ مكنة الدعاية المؤيّدة لأسرة الهابسبورغ في أوروبا، وهذا ما أظهر القيصر ليوبولد كحامي المسيحية الأول في العالم. لقد أحبّ الإمبراطور ليوبولد الصيد بشغف خاصّةً في مدينة فيينا والقلاع القريبة منها. وكانت أفعاله ممنهجة وبشكل عام كللت بالنجاح، وقد ارتبط خجله الشخصي بإدراك مكانته وكرامته الإمبراطورية. خاصةً وأن من أهم ما اتصف به هو التواضع والورع والابتعاد عن الشخصية العسكرية.[58]

حتى أن المؤرخ الألماني انطون شيندلينغ Anton Schindling وصفه: بأن هذا الإمبراطور ذو الشخصية المحجوزة كان "ضربة حظ" رائعة بالنسبة لأسرة الهابسبورغ الإمبراطورية خاصة وأن البدايات كانت قاسية وصعبة بالنسبة له، فقد تمتع بملكة التأني والمراقبة بصبر مشبع بوعي الأسرة الحاكمة ومتمتّعاً بالصلاح والورع. بينما نجد قسماً من المؤرخين الألمان الذين عاشوا في القرن

[54] - Wiesflecker, Hermann: Kaiser Maximilian I., Das Reich Österreich und Europa an der Wende zur Neuzeit, Bd. 2, München 1975, S. 44f.

[55] - Mutschlechner, Martin: https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-und-der-kampf-um-die-hegemonie-europa

[56] - Brigitte: Die Habsburger, S. 248.

[57] - Brigitte: Die Habsburger, S. 248f.

[58]- Schindling: Leopold I., S. 170.

التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين قد انتقدوا ليوبولد متهمين إياه بعدم الاهتمام بالمصالح القومية للإمبراطورية والتراجع أمام الجهود التوسعية الفرنسية.[59]

وللحق فقد تم التقليل من أهمية الإمبراطور ليوبولد الأول لفترة طويلة لكن تم إنصافة من قبل عدد مهم من المؤرخين الحديثين؛ فوصف تارةً بأنّه المهندس المعماري الذي صنع من النمسا "القوة العالمية لعصر الباروك" بينما وصفه المؤرخ انطون شندلنع بأنه "إمبراطور صلح وستفاليا" لأنّه أدرك القرارات المتخذة في هذا الصلح و مدى أهميتها و كيفية استغلالها سياسياً.[60]

6- الخاتمة:

كان ليوبولد الأول شخصية مميّزة في تاريخ أسرة الهابسبورغ الإمبراطورية ففي فترة حكمه وصلت الإمبراطورية إلى ذروة مجدها بعد حرب الثلاثين عاماً، وانتصارها في حروبها ضدّ العثمانيين، فاستطاع ليوبولد الأوّل أن يربط أسمه بتاريخ أوروبا لمدّة نصف قرن من الزمن وأعاد الهيبة والألق لاسم الأسرة الإمبراطورية (الهابسبورغ) واستطاع مقاومة التوسّع الفرنسي في الإمبراطورية، وقارع سياسية الهيمنة التي اتبعها ملك الشمس لويس الرابع عشر، و هذا ما أسّس قاعدة قويّة للهابسبورغيين الإمبراطوريّين في أوروبا وأعادهم إلى مصاف القوى التي يحسب لها ألف حساب. فمنذ العام 1679 قاد الإمبراطور ليوبولد الأول دفّة الحكومة بيده وحده رغم استعانتهِ بنصائح المقرّبين والموثوقين من المستشارين، ووضع بدهائه حداً لنفوذ كبار الامراء، وعزز دور الأمراء الأقل شأناً، واستطاع بذكائه حل العديد من القضايا المعقّدة التي تخصّ شؤون إمبراطوريّته. وقد اثبتت الأحداث والنتائج أنّ سياسة ليوبولد التوافقيّة في إمبراطوريّته عزّزت وضعه داخليّاً، ودعمته خارجياً.

[59] - Schindling: Leopold I., S. 171, 179.
[60]- Press: Kriege und Krisen, S. 350.

المراجع:

1. Ambrosius, Gerlod: Staat und Wirtschaftsordnung; eine Einfphrung in Theorie und Geschichte, Stuttgart 2001.
2. Amon, Ropert: 1683 Der letzte Widerstand, BoD, 2016.
3. Burkhardt, Johannes: Vollendung und Neuorientierung des Frühmodernen Reiches 1648-1763, Stuttgart 2006.
4. Dipper, Christopf: Deutsche Geschichte 1648ß1789, Frankfurt 1991
5. Dochhardt, Heinz: Alts Reich und Europäischen Staatenwelt 1648-1806, München 1999.
6. Evans, Robert Johan Weston: Das Werden der Habsburgemonachie 1550-1700 Gesellschaft, Kultur, Institionen, Wien 1989.
7. Grill, Heinz: Maximilian I. Und seine Zeit, Innsbruek u.a.1977 S.
8. Hammer, Joseph von: Geschichte des Osmanischen Reiches, Bd. 3, Pest 1828.
9. Heinrich, R. R.: Leopold I. In: Biographisches Lexikon zur Geschichte Südosteuropas, Bd. 3, München 1979.
10. Kreiser, Klaus: Der osmanische Staat 1300-1922, München 2001.
11. Matsch, Erwin: Der auswärtige Dienst von Österreich (-ungarn) 1720-1920, Wien 1986.
12. Matuz, Josef: Das Osmanische Reich, Grundlinien seiner Geschichte, Darmstadt 2006.
13. Mutschlechner, Martin: https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-ehe-und-familie Gotthard, Axel: Das Alte Reich 1495-1806, Darmstadt 2009
14. Pauser, Josef/ Scheutz, Martin/ Winkerbauer (Hg.): Quellenkunde der Habsburgerminarchie (16.-18. Jahrhundert) München 2004,
15. Press, Volker, Leopold I., in: Neue Deutsche Biographie 14 (1985),
16. Press, Volker: Kriege und Kriesen Deutschland 1600-1715, München 1991.
17. Press, Volker: Leopold I. In: Neue Deutsche Biographie (NDB), Bd. 14, Berlin 1985.
18. Schindling,Anton: Leopold I. In: Ders./Walter Ziegler (Hrsg.): Die Kaisr der Neuzeit. München, 1990.
19. Schmued, L.: Die Vergiftung Keopold I. Von Österreich, Carinthia I. Bd. 71, 1881.
20. Vacha, Brigitte (Hrsg.): Die Habsburger, Eine europäische Familiengeschichte, Wien 1992.
21. Vache, Brigitte: Die Habsburger, Eine euröpäische Familiengeschichte, Wien 1992.
22. Vierhaus, Rudolf: Staaten und Stände, von Westfälischen bis zum Hubertusburger Frieden 1648-1763, Berlin 1984.
23. Wiesflecker, Hermann: Kaiser Maximilian I., Das Reich Österreich und Europa an der Wende zur Neuzeit, Bd. 2, München 1975.
24. Winkelbauer, Thomas: Österreiche Geschichte 1522-1699, Bd. 2, Ständefreiheit und die Fürsten, Berlin 2009.
25. Leopold I. In: https://de-academic.com/dic.nsf/dewiki/842151#cite_ref-65
26. https://www.deutsche-biographie.de/downloadPDF?url=sfz70500.pdf
27. https://www.deutsche-biographie.de/pnd118571869.html#ndbcontent_leben
28. https://de-academic.com/dic.nsf/dewiki/842151
29. https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-kindheit-und-jugend
30. https://www.habsburger.net/de/kapitel/leopold-i-und-der-kampf-um-die-hegemonie-europa